

الإحسان

عناصر الموضوع

- | | |
|-----|------------------------------|
| ٤٢٠ | مفهوم الإحسان |
| ٤٢١ | الإحسان في الاستعمال القرآني |
| ٤٢٢ | الأنفاذ ذات الصلة |
| ٤٢٥ | الإحسان في حق الله تعالى |
| ٤٣٣ | مجالات الإحسان |
| ٤٤٩ | جزاء المحسنين |

مفهوم الإحسان

أولاً: المعنى اللغوي:

الإحسان لغة: مصدر حسن، والحسن: ضد القبح ونقيضه، والإحسان: ضد الإساءة^(١)، قال ابن فارس: «(حسن) الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحسن ضد القبح، يقال: رجل حسن وامرأة حسناء وحسانة، والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوي^(٢). وهو مصدر أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه، أو بغيره، تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان، إذا أوصلت إليه النفع^(٣).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

قال الراغب: الإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا حَسَنًا، أو عمل عملاً حَسَنًا^(٤).

وقال ابن العربي: «الإحسان مأخوذ من الحسن، وهو كل ما مدح فاعله^(٥).

وعرف الإمام القرطبي الإحسان بأنه: «إتقان العبادة ومراعاتها بأدائها المصححة والمكتملة، ومراقبة الحق فيها، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع، وحالة الاستمرار^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣/١١٧.

(٢) مقاييس اللغة ٢/٥٧.

(٣) انظر: تعليق محب الدين الخطيب على فتح الباري ابن حجر ١/١٦٤.

(٤) المفردات، ص ٢٣٥.

(٥) أحكام القرآن ١/١٦٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٦٧.

الإحسان في الاستعمال القرآني

وردت مادة (حسن) في القرآن (١٩٤) مرة، يخص موضوع البحث منها (١٠٨) مرات^(١).

والصيغة التي وردت عليها هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤]	١٧	الفعل الماضي
﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا وَسْتَقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]	٢	الفعل المضارع
﴿وَإِحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الفصص: ٧٧]	٢	فعل الأمر
﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]	٣٦	أفضل التفضيل
﴿الطَّلِقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]	١٢	المصدر
﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]	٣٩	اسم الفاعل

وجاء الإحسان في الاستعمال القرآني بمعنى: إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه، وهو ضد الإساءة. ويأتي متعدياً بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، وفي كذا، إذا حسنته وكملته، ومتعدياً بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى كذا، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب الحاء، ص ٤٣٣-٤٣٧.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥٧/٢، لسان العرب، ابن منظور ١١٧/١٣، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٦٨/٢-٧٠.

الألفاظ ذات الصلة

١ الإفضال:

الإفضال لغةً:

هو: الإحسان، يقال: ورجل مفضال وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل سمحة، وأفضل عليه وتفضل بمعنى (١)، قال ابن فارس: «(فضل) الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء، من ذلك الفضل: الزيادة والخير (٢).

الإفضال اصطلاحًا:

يستعمل لمطلق النفع (٣).

وقد وردت آيات في كتاب الله تعالى تدل على أن الإفضال هو الإحسان منها قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ مِنْ اللَّهِ وَفَضَّلَهُمْ لِمَ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّجَعُوا رِضْوَانًا لِلَّهِ وَاللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤]

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَصْنَابِكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي

كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ [النساء: ٧٣].

فالمراد به بالفضل في الآيتين: الإحسان من الله بالعافية والسلامة والغبطة ﴿وَاللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: «والله ذو إحسان وطول عليهم بصرف عدوهم الذي كانوا قد هموا بالكرة إليهم، وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم بنعمه عظيم عند من أنعم به عليه من خلقه» (٤).

الصلة بين الإحسان والإفضال:

أن في كليهما نفعًا للغير لكن الإحسان لفظ عام؛ لأن فيه معنى الإتيان والإحكام، وفيه معنى الإحسان من العبد مع الله تعالى.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١١ / ٥٢٤.

(٢) مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٨.

(٣) انظر: الكليات، الكفوي، ص ٦٨٣.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٧ / ٤١٤.

الامتنان لغةً:

الامتنان لغةً: الإحسان والإنعام، من عليه يمن مَنًا: أحسن وأنعم، والاسم المنّة، والمن القطع، ويقال النقص^(١).

الامتنان اصطلاحًا:

إحسان المحسن غير معتمد بالإحسان، وفي أسماء الله تعالى: الحنان المنان، أي: الذي ينعم غير فآخر بالإنعام^(٢)، قال ابن الأثير: «هو المنعم المعطي من المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه»^(٣).

الصلة بين الإحسان والامتنان:

أن الامتنان هو الإحسان والإنعام وأن الإحسان أعم منه.

الإنعام لغةً:

من النعمة، بالفتح، وهي المسرة والفرح والترفة، ومعنى قولهم: أنعمت على فلان، أي: أصرت إليه نعمة^(٤)، والنعم والنعمى والنعماء والنعمة، كله: الخفض والدعة والمال، وهو ضد البأساء والبؤسى. والتنعيم: الترفه، والاسم النعمة، ونعم الرجل ينعم نعمة، والنعمة: اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمنة وما أنعم به عليك، ونعمة الله، بكسر النون: ما أعطاه الله العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه إياه؛ كالسمع والبصر^(٥).

الإنعام اصطلاحًا:

إيصال النعمة والإحسان إلى الغير^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣ / ٤١٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٣ / ٤١٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٣٦٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ٥ / ٨٣.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢ / ٥٧٩، تاج العروس، الزبيدي ٣٣ / ٥٠٢.

(٦) انظر: الكليات، الكفوي، ص ٩١٢، التوقيف على مهمات التعاريف المناوي ص ٦٥.

الصلة بين الإحسان والإنعام:

أن الإنعام لا يكون إلا من المنعم على غيره؛ لأنه متضمن بالشكر الذي يجب وجوب الدين، ويجوز إحسان الإنسان إلى نفسه، تقول لمن يتعلم العلم: إنه يحسن إلى نفسه، ولا تقول: منعم على نفسه، والإحسان متضمن بالحمد ويجوز العائد لنفسه^(١).

٤ الإكرام:

الإكرام لغةً:

الإكرام والتكريم لغة هو: أن يوصل إلى الإنسان بنفع لا تلحقه فيه غضاضة، أو يوصل إليه بشيء شريف^(٢).

الإكرام اصطلاحاً:

الإكرام والتكريم اصطلاحاً هو: التفضيل والاحترام^(٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقَهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وفي الإكرام المذكور في الآية أقوال: روي عن ابن عباس أنه قال: هو أكلهم باليد، وسائر الحيوانات يأكلون بأفواههم، وقيل: امتداد القامة وانتصابها، والدواب منكبة على وجوهها، وقيل: بالعقل والتميز، وقيل: بأن سخر جميع الأشياء لهم، وقيل: بأن جعل فيهم خير أمة أخرجت للناس، وقيل: بالخط والقلم^(٤).

الصلة بين الإحسان والإكرام:

أن الإكرام هو الإحسان مع التفضيل والتشريف.

(١) انظر: معجم الفروق اللغوية، العسكري، ص ٨١.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٣٣ / ٣٣٧.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس وحامد قنبي، ص ١٤٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٣ / ٢٦٢.

الإحسان في حق الله تعالى

إن الإحسان في حق الله تعالى يتمثل في كون الإحسان صفة من صفات الله تعالى، وفي إحسان الله تعالى الخلق، وفي إحسان الله تعالى في الرزق، وفي إحسان الله تعالى في الحكم، وفي إحسان الله تعالى في الأجر والثواب، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

أولاً: الإحسان من صفات الله تعالى:

إن الإحسان صفة من صفات الله عز وجل الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة، والإحسان في حق الله تعالى يأتي بمعنيين:

١. الإنعام على الغير، وهو زائد على العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

٢. الإتيان بالإحكام، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]. وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا فَاحْسَنَ صُورَكَ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].^(١)

الدليل من القرآن الكريم:

• قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَرِزْقِي﴾

(١) انظر: الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة التميمي، ص ٦٥.

مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: ٨٨].

• وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ

اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

• وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ

خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [٧]

[السجدة: ٧].

• وقوله جل شأنه: ﴿رِزْوَانًا فَاحْسَنَ

صُورَكَ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [٢] [التغابن:

٣].

الدليل من السنة النبوية:

• ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إذا حكمتكم؛ فاعدلوا، وإذا قتلتم؛

فأحسنوا؛ فإن الله محسن يحب

الإحسان)^(٢).

• ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه؛

قال: حفظت من رسول الله صلى

الله عليه وسلم اثنتين؛ أنه قال: (إن

الله عز وجل محسن يحب الإحسان،

فإذا قتلتم؛ فأحسنوا القتل)^{(٣) (٤)}.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ٥٧٣٥ / ٦ / ٤٠.

صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٨٢٤، ١ / ٣٧٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه رقم ٨٦٠٣، ٤ / ٤٩٢، والطبراني في المعجم الكبير رقم ٧١٢١، ٧ / ٢٧٥.

صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٨٢٤، ١ / ٣٧٤.

(٤) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب

ومعنى أن الله إذا شاء لم يفعلها، وأن الصفات الذاتية لا تنفك عن الذات، أما الصفات الفعلية يمكن أن تنفك عن الذات، ولكن مع ذلك فإن كلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات لله تعالى أزلاً وأبدًا لم يزل ولا يزال متصفاً بهما ماضياً ومستقبلاً لا ثاقان بجلال الله عز وجل^(٢).

ثانيًا: الإحسان في الخلق:

إن الله تعالى أحسن في الخلق بصفة عامة، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

والإحسان في الخلق معناه: أتقن كل شيء وأحكمه، هو مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

فلم يجعل خلق البهائم في خلق الناس، ولا خلق الناس في خلق البهائم ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرًا، قال مجاهد ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: أعطى كل شيء خلقه، قال: الإنسان إلى الإنسان، والفرس للفرس، والحمار للحمار^(٣).

يقول تعالى مخبرًا: إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها، وقال مالك عن زيد بن أسلم ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾

والمحسن من أسماء الله تعالى، ومعناه: «إن المحسن مشتق من أحسن يحسن إحسانًا، ومعناه: أن الإحسان وصف لازم له لا يخلو موجود من إحسانه طرفه عين، فلا بد لكل مكون من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، والله جل وعلا يحب من خلقه أن يتقربوا إليه بمقتضى معاني أسمائه، فهو الرحمن يحب الرحماء، وهو الكريم يحب الكرماء، وهو المحسن يحب المحسنين»^(١).

وبعبارة أخرى: فإن المحسن في صفات الله معناه: المنعم المتفضل الذي أحسن للناس عقيدة ودينًا وأحسن لهم خلقًا ورزقًا وأحسن لهم مثوبة وأجرًا كرمًا منه وتفضلاً، وبهذا يتبين أن اسم الله المحسن من صفات الذات الثابتة بالسنة النبوية.

ومن خلال الأدلة السابقة يتبين أن الإحسان من صفات الله الفعلية الثابتة بالقرآن والسنة، والصفات الفعلية هي: التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، ومنها: الخلق - الرزق الإحسان العدل، وضابط: الصفات الفعلية أنها هي التي تنفك عن الذات، على

والسنة، علوي السقاف، ص ٥٠.

(١) انظر: بحث: إثبات أن المحسن اسم من أسماء الله الحسنى، د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، منشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٣٦ ص ٣٧٤ الإصدار ربيع الأول - جمادى الثانية لسنة ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة التميمي، ص ٦٥.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠ / ١٧٠.

لَكُمْ الْأَرْضَ فَكَرًا وَالسَّمَاءَ بِكَاءَ
وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴿٤﴾ [غافر:
٦٤] (٤).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ﴾ (٤) [التين: ٤].

قال الإمام ابن جرير: «ومعناه: في أعدل
خلق، وأحسن صورة، قال ذلك ابن عباس،
وقال آخرون: بل معنى ذلك: لقد خلقنا
الإنسان، فبلغنا به استواء شبابه وجلده
وقوته، وهو أحسن ما يكون، وأعدل ما
يكون وأقومه، وقال آخرون: قيل ذلك لأنه
ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكب على
وجهه غير الإنسان. قال ذلك عن ابن عباس:
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: خلق
كل شيء منكبًا على وجهه، إلا الإنسان.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: إن
معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن
صورة وأعدلها» (٥).

ولهذا أنكر الله تعالى على من يدعو
من لا يخلق فضلاً عن أن يكون محسنًا في
الخلق، قال تعالى: ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا وَّنَذُورًا
أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (١٥٠) [الصفات: ١٢٥].

والمعنى: ﴿أَنْذَعُونَ﴾ أتعبدون ﴿بَعْلًا﴾
هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ١٥٩.
(٥) جامع البيان ٢٤/ ٥٠٧.
وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/
٣٤٣.

قال: أحسن خلق كل شيء، كأنه جعله من
المقدم والمؤخر (١).

أما الإحسان في خلق الإنسان على وجه
الخصوص، فقال تعالى: ﴿وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُورَكُمْ وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٣) [التغابن: ٣].

يقول: ومثلكم فأحسن مثلكم، وقيل: أنه
عني بذلك تصويره آدم، وخلقه إياه بيده (٢).
قال القرطبي: ﴿وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ يعني: آدم عليه السلام،
خلقته بيده كرامة، له، قاله مقاتل، الثاني:
جميع الخلائق، معنى التصوير: أنه التخطيط
والتشكيل. فإن قيل: كيف أحسن صورهم؟
قيل له: جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه
صورة، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون
صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور،
ومن حسن صورته أنه خلق منتصبًا غير
منكب، كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) [التين: ٤] (٣).

والمعنى: ﴿وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي:
أحسن أشكالكم، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ
﴿٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

وكقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٢١.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٤١٦.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي
١٨/ ١٣٤.

ذكره ابن عيسى^(٣)، قال الإمام ابن كثير: «قيل أراد النبوة وقيل أراد الرزق الحلال ويحتمل الأمرين»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

فقد رزق الله تعالى من ثمرات النخيل والأعناب، الرزق الحسن، وهو يؤكل من الأعناب والتمور^(٥)، قال ابن عباس: ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فهو الحلال من الخل والزبيب والنيذ وأشبه ذلك، فأقره الله وجعله حلالاً للمسلمين^(٦).

قال الماوردي: «قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾».

فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن السكر: الخمر، والرزق الحسن: التمر والرطب والزبيب، وأنزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، ثم حرمت من بعد، قال ابن عباس: السكر: ما حرم من شرابه، والرزق الحسن: ما حل من ثمرته، وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبيرة:

عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه، ففتوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمئة سادن، وجعلوهم أنبياء، وكان موضعه يقال له: بك، فركب وصار بعلبك، وهو من بلاد الشام، ﴿وَتَذُرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين^(١).

ثالثاً: الإحسان في الرزق:

إن الله سبحانه وتعالى أحسن في الرزق كما أحسن في الخلق.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَيْكُمْ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعني: حلالاً طيباً»^(٢).

قال الماوردي: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ فيه تأويلان: أحدهما: أنه المال الحلال، قاله الضحاك، قال ابن عباس، وكان شعيب كثير المال، الثاني: أنه النبوة،

(١) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ١٣٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٤٥٣.

(٣) انظر: النكت والعيون ٢/ ٤٩٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٩٦.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣/ ٢٠٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٧/ ٢٢٨٨.

أي: رزقهم الله الجنة التي لا ينقطع نعيمها، ولا يزول^(٢).

ويعني بالرزق: ما رزقهم فيها من المطاعم والمشارب، وسائر ما أعد لأوليائه فيها، فطيبه لهم^(٣).

رابعاً: الإحسان في الحكم:

بين الله تعالى أنه أحسن الحاكمين، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال تعالى موبخاً اليهود الذين أبوا قبول حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ولهم من اليهود، ومستجهاً فعلهم ذلك منهم، ومن هذا الذي هو أحسن حكماً، أيها اليهود، من الله تعالى ذكره عند من كان يوقن بوحدانية الله، ويقر بربوبيته؟ يقول تعالى ذكره: أي حكم أحسن من حكم الله، إن كنتم موقنين أن لكم رباً، وكنتم أهل توحيد وإقرار به؟^(٤).

والمعنى: أن الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضع، وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء، فصارعوا الجاهلية في هذا الفعل^(٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١٨٨/٥.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/٤٦٩، التفسير الوسيط، الواحدي ٤/٣١٦.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/٣٩٤.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

والسكر: الخمر، والنيذ المسكر.

واختلف من قال بهذا هل خرج مخرج الإباحة أو مخرج الخبر على وجهين: أحدهما: أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ، قاله قتادة.

الثاني: أنه خرج مخرج الخبر أنهم يتخذون ذلك وإن لم يحل، قاله ابن عباس. الثاني: أن السكر: النيذ المسكر، والرزق الحسن: التمر والزبيب، قاله الشعبي والسدي، وجعلها أهل العراق دليلاً على إباحة النيذ.

الثالث: أن السكر: الخل بلغة الحبشة، الرزق الحسن: الطعام.

الرابع: أن السكر: ما طعم من الطعام، وحل شربه من ثمار النخيل والأعناب، وهو الرزق الحسن، وبه قال أبو جعفر الطبري^(١).

وإحسان الله تعالى في الرزق لا يقتصر على الدنيا، بل ذلك يشمل أيضاً الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَسَوْفَ نَرْزُقُهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

(١) انظر: النكت والعيون، ٣/١٩٨.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، أي: أن الله خير من يفصل وأعدل من يقضي؛ لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد، ولا محاباة لأحد^(٢)، يعني: أنه حاكم منزه عن الجور والميل والحيف^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

يعني: أنت وعدتني أن تنجي أهلي ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ يعني: وأنت أحكم الحاكمين بالعدل^(٤).

قال الزمخشري: «أي: أعلم الحكام وأعدلهم؛ لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

أي: أتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق، وقيل: أحكم الحاكمين: قضاء بالحق، وعدلا بين الخلق^(٦).

وفي الآية ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء^(١).

وبمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وردت آيات في كتاب الله تعالى، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٢ / ٥٦١.
 (٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٤ / ٣١٥.
 (٤) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٢ / ٤٣٣.
 (٥) انظر: الكشاف ٢ / ٣٩٨.
 (٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٠ / ٤١١.

٢١٤ / ٦
 (١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣ / ١١٩.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهمُ اللهُ أَحسنَ ما عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِعَدْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

وفي الآية تقرير وتبنيه على كمال القدرة، ونفاذ المشيئة، وسعة الإحسان؛ لأن ﴿بِعَدْرِ حِسَابٍ﴾ كناية عن السعة، وأنه لا يدخل تحت حساب الخلق وعدهم (٤).

والمراد بـ ﴿أحسنَ ما عَمِلُوا﴾: أعمالهم الحسنة الصالحة؛ لأنها أحسن ما عملوا؛ لأنهم يعملون المباحات وغيرها، فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحسنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الغنكوت: ٧].

والمعنى: ولنثيبهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم (٦).

وقيل: نعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمتثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] (٧).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنقِلُ عنهم أَحسنَ ما عَمِلُوا وَنَجَّوهُم مِّن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعزَّكَ الْمُتَكِمِينَ﴾ [التين: ٨]: «يقول تعالى ذكره: أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه، وفصل قضائه بين عباده؟» (١).

خامساً: الإحسان في الأجر والثواب:

إن الإحسان في الأجر والثواب من الله تعالى لمن آمن وعمل صالحاً ثابت في آيات كثيرة.

قال تعالى: ﴿مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجرَهُم بِأحسنِ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

يعني: الإحسان الذي كانوا يعملون في الدنيا، فيجزئهم بأحسن أعمالهم، ويبقى سائر الأعمال فضلاً (٢).

قال الماوردي: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجرَهُم بِأحسنِ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ «يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجازى على أحسن الأعمال وهي الطاعة، دون المباح منها.

الثاني: مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمتثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] (٣).

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٧/ ٣٩١.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن السعدي، ص ٥٦٩.

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠ / ١١.

(٧) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣ / ٥٥٠.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤ / ٥١٦.

(٢) تفسير السمرقندي، ٢ / ٢٩٠.

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣ / ٢١٢.

مجالات الإحسان

مجالات الإحسان في القرآن الكريم أربعة، هي: الإحسان في الاعتقاد، والإحسان في العبادة، والإحسان في المعاملات، والإحسان في الأخلاق، ويمكن بيان ذلك في المطالب الآتية:

أولاً: الإحسان في الاعتقاد:

العقيدة هي: الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك مما جاء عن الله تعالى في كتابه الكريم وضح عن رسوله في سننه^(٢).

والإحسان في الاعتقاد يكون بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فالإحسان بتوحيد الربوبية هو بإفراد الله تعالى بالوحدانية، والإقرار بأنه واحد في أفعاله، لا شريك له فيها، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وتدبير الأمور والتصرف في الكون، وغير ذلك مما يتعلق بربوبيته.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١
 اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٣﴾
 [الإخلاص: ١-٤] ^(٣).

(٢) انظر: الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية، أحمد الغامدي، ص ١٩٠.
 (٣) انظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، الصنعاني، ص ٩.

الَّذِينَ آمَنُوا وَآلَهُمْ حَسَنَاتٌ ۖ وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [آل

عمران: ١٤].

فقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَاتٌ ۖ﴾ أي: حسن المرجع والمنقلب، وهي الجنة^(١).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/٢٥٨.

والإحسان في توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات كل ما أثبتته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، دون تكيف أو تمثيل، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به.

كما قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١].

فجمع في هذه الآية بين الإثبات والتنزيه، فالإثبات في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ والتنزيه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فله سبحانه وتعالى سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وهكذا يقال في كل ما ثبت لله من الأسماء والصفات (٣).

وقد وردت في القرآن آيات تدل على الإحسان في الاعتقاد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١٣٥) [النساء: ١٢٥].

فالآية تدل على أن الإحسان في الاعتقاد هو لمن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة، مصداقاً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند ربه وهو محسن، يعني: وهو عامل بما أمره به ربه، محرم حرامه

فتوحيد الربوبية هو: توحيد الله تعالى بأفعاله، والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير، فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرع الشرائع، ليحق الحق بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعاً وقدراً إلى غير ذلك مما لا يحصيه العد، ولا تحيط به العبارة، وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة، وقام عليه دليل السمع والعقل (١).

والإحسان في توحيد الألوهية: يكون بتوحيده بأفعال العبادة، كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها، فلا يصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلًا، فضلاً عن سواهما.

وبمعنى آخر فتوحيد الإلهية: هو إفراد الله بالعبادة: قولاً، وقصدًا، وفعلًا، فلا ينذر إلا له، ولا تقرب القرابين إلا إليه، ولا يدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة (٢).

(١) انظر: مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي، ص ٢٧.

(٢) انظر: مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي، ص ٢٧.

(٣) انظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، الصنعاني، ص ٩.

والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة»^(٤).

والإحسان في العبادة يكون بالإخلاص لله تعالى فيها، وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في العبادة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البينة: ٥].

والإسلام قد أسبغ على أعمال الإنسان كلها صفة العبادة، إذا تحقق فيها شرطاً قبول العمل، وهما:

أولاً: الإخلاص: بأن يكون العمل خالصاً لوجه الله الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

فينوي العبد أن يكون عمله، وقوله وإعطائه، ومنعه، وحبه، وبغضه لله وحده، لا شريك له؛ إذ الأعمال لا تقوم إلا بالنيات، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات)^(٥)؛ فالنية تتحكم في العمل، وتقلبه

ومحلل حاله، ﴿وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يعني بذلك: واتبع الدين الذي كان عليه إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وأمر به بنيه من بعده وأوصاهم به، ﴿حَنِيفًا﴾ يعني: مستقيماً على منهاجه وسيله^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

أي: من أسلم فقد استمسك بقول: لا إله إلا الله، وهي العروة الوثقى^(٢)، وذلك بأن يخلص عبادته وقصده إلى الله تعالى وهو محسن؛ لأن العبادة من غير إحسان ولا معرفة القلب لا تنفع^(٣).

ثانياً: الإحسان في العبادة:

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة، بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم

(١) جامع البيان، الطبري/٩/٢٥٠.

وانظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ١٢٠.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج/٤/١٩٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير/٦/٣١٠.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي/١٤/٧٤.

(٤) العبودية، ابن تيمية، ص ٤٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي صلى الله عليه وسلم، رقم ١، ٦/١، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إلى عبادة^(١).

ثانيًا: المتابعة: بأن يكون العمل على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهدية القويم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

فالأعمال لا اعتبار لها إلا إذا كانت على الوجه الذي رسمه الشرع، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد)^(٢).

وكل عمل بلا متابعة، فإنه لا يزيد عامله إلا بعدًا من الله؛ فإن الله عز وجل إنما يعبد بأمره، لا بالأهواء، ولا الآراء، والمسلك الحسن ليس في إخلاص العمل لله عز وجل فحسب، ولا في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقط، بل في مجموعهما معًا، فإن الله عز وجل ذكر العمل الصالح، فقال: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والعمل الصالح هو الخالص الصواب،

(١) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر صوفي، ص ٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحو على جور، فالصلح مردود، رقم ٢٦٩٧، ٣/١٨٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم ١٧١٨، ٣/١٣٤٣.

فإذا جمع العمل هذين الشرطين، كان عبادة^(٣).

ويخصوص الإحسان في أعمال الحج. قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوتُ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

قال ابن جرير: «لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها، ولكن يناله اتقاؤكم إياه إن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه، وعملتكم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتكم بها حرماته ﴿وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوتُ مِنكُمْ﴾ قال: ما أريد به وجه الله، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: يقول: وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة^(٤)، والمحسنون هم المخلصون في أعمالهم^(٥).

ولا يقتصر الإحسان على أعمال الحج فقط، بل يشمل جميع العبادات؛ لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فإن من معاني الإحسان في الآية: أداء

(٣) انظر: المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر صوفي، ص ٩٣.

(٤) جامع البيان ١٨/٦٤١.

(٥) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٧/٢٤٨.

إِسْرَاءِ يَلْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ
وَأنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ [البقرة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا
وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾
[الإسراء: ٢٣].

ومعنى قضى في الآية: أمر ووصى، قال
ابن عباس: «يريد: وأمر ربك، ليس هو قضاء
حكم»، وهو قول مجاهد، والحسن، وقتادة،
وعامة المفسرين^(٤)، وقرن الأمر بالإحسان
إلى الوالدين بعبادته وحده جل وعلا يدل
على شدة تأكيد وجوب بر الوالدين^(٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ
وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والمعنى: ووصينا ابن آدم بوالديه
أمرناه بالإحسان إليهما في صحبته إياهما
(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢ /
٤٩، التفسير الوسيط، الواحدي ٣ / ١٠٢.
(٥) انظر: أضواء البيان الشنقيطي ٣ / ٨٥.

الفرائض والإخلاص لله تعالى فيها^(١).

ثالثاً: الإحسان في العلاقات
الاجتماعية:

إن الإحسان في المعاملات في القرآن
يأتي في أمور هي:

١. الإحسان إلى الوالدين.

أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين في
آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء:
٣٦].

أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم
والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة
أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما
وإكرام من له تعلق بهما وصلته الرحم التي
لا رحم لك إلا بهما، وللإحسان ضدان،
الإساءة وعدم الإحسان، وكلاهما منهي
عنه^(٢).

فكل قول وفعل يحصل به منفعة للوالدين
أو سرور لهما، فإن ذلك من الإحسان، وإذا
وجد الإحسان انتفى العقوق^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

- (١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠ / ٢٥٩.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص
١٧٨.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص
٢٧٩.

أيام حياتهما، والبر بهما في حياتهما وبعد مماتهما^(١).

٢. الإحسان إلى الزوجة والأولاد.

إن الإحسان إلى الزوجة يكون بالمعاشرة بالمعروف فقد ورد الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِيءٌ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبِيرًا كَثِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٩].

فقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيركم خيركم لنسائهم)^(٣).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/١١٢، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/٤٤٢.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٢١٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الرضاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم ١١٦٢، ٣/٤٥٨، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، رقم ١٩٧٨، ١/٦٣٦.

والحديث صححه الترمذي، والبوصيري في مصباح الزجاجه ٢/١١٨، والألباني في

والإحسان إلى الزوجة كما يكون في حال الزوجية يكون كذلك في حال الطلاق، قال تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فالإمساك الذي هو بمعروف بعد الطلقة الثانية هو أن يحسن صحابتهما، أو تسريح بإحسان، قال ابن عباس رضي الله عنه: أن يسرحها بإحسان، فلا يظلمها من حقها شيئاً، بأن يوفيهما حقها ولا يؤذيها ولا يشتمها، وقال: من خالغ امرأته فأخذ منها شيئاً أعطاهما، فلا أراه سرحها بإحسان^(٤).

كما جعل الله تعالى من الإحسان إلى الزوجة بعد الطلاق أن أمر لها بالمتعة، وهي عطية يعطيها الزوج لمطلقاته.

قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَبُوا لهنَّ فَرِيضَةٌ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢٣٦-٢٣٧].

أي: هذا التمتع حق ثابت على المحسنين الذين يحسنون إلى أنفسهم

صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم ٣٢٦٥،

١/٦٢٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٢/٤١٩.

استبقاء لأواصر الود بين الأقارب، إذ كان العرب في الجاهلية قد حرفوا حقوق القرابة فجعلوها سبب تنافس وتحاسد وتقاتل^(٤).

قال الرازي: «ومعلوم أن الإحسان إلى هؤلاء إنما يكون بالمال، ثم ذم المعرضين عن هذا الإحسان فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]»^(٥).

وقد جعل الله تعالى لذوي القربى حقاً في مال القريب، قال تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبَدِّرْ بَدِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

قال ابن عطية: «اختلف المتأولون في «ذي القربى»، فقال الجمهور: الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد: الأمة، وألحق في هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه، قال بنحو هذا الحسن وعكرمة وابن عباس وغيرهم، وقال علي بن الحسين في هذه: هم قرابة النبي عليه السلام، أمر النبي عليه السلام بإعطائهم حقوقهم من بيت المال»^(٦).

قال ابن الجوزي: في قوله تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾ «فيه قولان:

أحدهما: أنه قرابة الرجل من قبل أبيه

(٤) التحرير والتنوير ٥ / ٤٩.

(٥) مفاتيح الغيب ١٠ / ٧٨.

(٦) المحرر الوجيز ٣ / ٤٥٠.

أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفعلت هذا بولدك كلهم؟) قال: لا، قال: (اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم)، فرجع أبي، فردت تلك الصدقة^(١).

٣. الإحسان إلى الأقارب.

إن المراد بالأقارب: من تربطك بهم صلة القرابة سواء أكانوا من المحارم أم لا^(٢).

وقد أمر الله بالإحسان إلى ذوي القربى بعد الوالدين، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]^(٣).

وإنما أمر بالإحسان إلى ذي القربى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم ١٦٢٣، ٣ / ١٢٤٢.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٨ / ٣٣١.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢ / ٥٠.

تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٧٨.

المواساة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ [البقرة: ٢١٥].^(٣)

قال أبو جعفر الطبري: «يعني بذلك جل ثناؤه: يسألك أصحابك يا محمد، أي شيء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به؟، وعلى من ينفقونه فيما ينفقونه ويتصدقون به؟ فقل لهم: ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به، فأنفقوه وتصدقوا به واجعلوه لأبائكم وأمهاتكم وأقربكم، ولليتامى منكم، والمساكين، وابن السبيل، فإنكم ما تأتوا من خير وتصنعوه إليهم فإن الله به عليم، وهو محصيه لكم حتى يوفيكم أجوركم عليه يوم القيامة، ويشيكم على ما أطعموه بإحسانكم عليه، والخير الذي قال جل ثناؤه في قوله: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾، هو المال الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من النفقة منه، فأجابهم الله عنه بما أجابهم به في هذه الآية»^(٤).

٤. الإحسان إلى اليتامى والمساكين.

أمر الله تعالى بالإحسان إلى اليتامى والضعفاء والمساكين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

وأمه، قاله ابن عباس، والحسن، فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المراد به: برهم وصلتهم.

والثاني: النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة.

والثالث: الوصية لهم عند الوفاة^(١).

وإن من حكمة التربية أن يبدأ من الأوامر بما تعين فطرة النفوس الإنسانية على قبوله بدهة الفكرة أو بشعور العاطفة، وكلتا هاتين يحبب للنفس إيتاء حق القريب فابتدى به في الأمر ليكون تقبلها له أسهل ومبادرتها للامثال أسرع، فإذا سخت النفوس بإيتاء حق القريب ومرنت عليه اعتادت الإيتاء وصار من ملكاتها فسهل عليها إيتاء كل حق، ولو كان لأبعد الناس. وشيء آخر، وهو أن الأقارب قد تكون بينهم المنافسات والمنازعات لقرب المنازل، أو تصادم المنافع أو التشاح على الموارث ما لا يكون بين الأبعد، فيقطعوا حق القرابة ويهدموا بناء الأسرة، ويعود ذلك عليهم أولاً بالوبال، ويرجع ثانيًا على مجتمعهم بالتضعض، فكان هذا من جملة ما يقتضي الابتداء بحقهم إلى المقتضيات المتقدمة الأخرى^(٢).

وللقرابة حقان: حق الصلة، وحق

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥ / ٧٦.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٤ / ٢٩١.

(١) زاد المسير ٣ / ٢٠.

(٢) انظر: تفسير ابن باديس ص ٧٩.

الجسد الاجتماعي كله، وأن كل عضو سليم في هذا الجسد من واجبه أن يحمل بعض أعباء الأعضاء المريضة فيه، شأن الجسد حين تضعف فيه حاسة، أو تعجز عن العمل، فتتولى أقرب الحواس إليها، وأشكلها بها، أداء وظيفتها بوجه أو بآخر حتى يستقيم للجسد أمره^(٣).

٥. الإحسان إلى الجيران.

أمر الله تعالى بالإحسان إلى الجيران، فقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه والوصاية برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه. ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: القريب، يعني: الذي بينك وبينه قرابة ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، وقال نوف الشامي: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ المسلم

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢٩٣.

وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

قال ابن عادل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣]: «وظاهر الآية يدل على أن الإحسان إلى ذي القربى واليتامى والمساكين كان واجباً على بني إسرائيل في دينهم، وكذا القول الحسن للناس كان واجباً عليهم؛ لأن أخذ الميثاق يدل على الوجوب، وذلك لأن ظاهر الأمر للوجوب، والأمر في شرعنا أيضاً كذلك من بعض الوجوه»^(١).

والمساكين: هو المتخضع المتدلل من الفاقة والحاجة، والمسكنة هي ذل الحاجة والفاقة^(٢).

وفي الآيتين السابقتين يبين به الله سبحانه أصحاب الحقوق الواجبة على الإنسان نحوهم، إما لصلة قرابة تجمعهم إليه، وتجعلهم بعضاً منه، أو تجعله بعضاً منهم.. وإما لصلة إنسانية عامة، تلك الصلة التي تقوم على أساس أن الفرد عضو في

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢/ ٢٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/ ٢٩٢.

حث الدين على الإحسان في معاملة الجار عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»^(٤).

وإكرام الجار من شيم العرب قبل الإسلام، وزاده الإسلام توكيدًا بما جاء في الكتاب والسنة، ومن إكرامه إرسال الهدايا إليه، ودعوته إلى الطعام، وتعاهده بالزيارة والعيادة إلى نحو ذلك^(٥).

٦. الإحسان إلى عموم الناس.

أمر الله تعالى بالإحسان إلى عموم الناس، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

فقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

أي: كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا. ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ اليهودي والنصراني، وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهم: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ يعني: المرأة، وقال مجاهد أيضًا في قوله: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر^(١).

قال القرطبي: «وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلمًا كان أو كافرًا، وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه. روى البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما زال يوصيني جبريل بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه)^(٢)»^(٣).

والجوار ضرب من ضروب القرابة، فهو قرب بالمكان والسكن، وقد يأنس الإنسان بجاره القريب أكثر مما يأنس بالنسيب، فيحسن أن يتعاون الجاران، ويكون بينهما الرحمة والإحسان، فإذا لم يحسن أحدهما إلى الآخر فلا خير فيهما لسائر الناس، وقد

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير/٢/٢٦١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم ٦٠١٤، ١٠/٨، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم ٢٦٢٥، ٤/٢٠٢٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي/٥/١٨٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، رقم ٤٨، ١/٦٩.

(٥) انظر: تفسير المراغي/٥/٣٦.

عن المنكر بالمعروف^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن، قال الحسن: يقولون له: يهديك الله، إن الشيطان هو الذي يفسد بينهم؛ لأنه عدو للإنسان ظاهر العداوة^(٢).

وفي الآية يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك، نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، وأوقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديده، فإن الشيطان ينزع في يده، أي: فربما أصابه بها^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَمِّينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير: «يقول تعالى أمرًا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة، قال ابن جرير الطبري: «وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله: ﴿وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَهُ. يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]»^(٤).

٧. الإحسان في الجهاد.

إن الإحسان في الجهاد من صفات المحسنين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يقول تعالى: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبًا من كفار قريش،
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم / ٤ / ٥٢٦.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٢٠٩.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي / ٣ / ١١٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ٥ / ٨٠.

المكذبين بالحق لما جاءهم فينا، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا، ونصرة ديننا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مصدقًا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه^(١).

وقد تكفل الله تعالى بأنه لا يضيع من أحسن في الجهاد. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَعْصِفُ الْكَافَرُونَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا أَعْرَبُوا لَهُمْ رَيْدَةٌ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

كما يكون الإحسان في الجهاد بالإنفاق في سبيل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

أي: أنفقوا في سبيل الله فمن أنفق في سبيل الله فهو محسن، فقلوه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي

سبيل الله﴾ [البقرة: ١٩٥] وكل ما أمر الله به من الخير فهو في سبيل الله وأكثر ما يستعمل في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه^(٢). ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أي: بالإنفاق على من تلتزمكم مؤنته ونفقته. وقيل: أحسنوا في الإنفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا، نهوا عن الإسراف والإقتار في الإنفاق. وقيل: معناه: وأحسنوا في أداء فرائض الله تعالى. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: يشيهم على إحسانهم^(٣).

كما يكون الإحسان في الجهاد بالالتزام بتعاليم الإسلام في قتال أعدائه، وذلك بعدم المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ، الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة، لما رواه بريدة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم،

انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج/١/٢٦٦، التفسير الوسيط، الواحدي/١/٢٩٣.

انظر: لباب التأويل، المخازن/١/١٢٣.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري/٢٠/٦٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان^(٢).

وكذلك فعل الخلفاء الراشدون، ففي وصية أبي بكر رضي الله عنه لأسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام: «لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم له»^(٣).

رابعاً: الإحسان في الأخلاق:

إن الإحسان في الأخلاق يكون بالتخلق بالقرآن الكريم في الأقوال والأفعال وجميع التصرفات، فإن أحسن الناس خلقاً هو من يتخلق بالقرآن، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عنه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والمعنى: أنت على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن^(٤)، أي: على الخلق الذي أدبك

وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا^(١).

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال: (إن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، رقم ١٧٣١، ٣/١٣٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، رقم ٣٠١٤، ٤/٦١، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، رقم ١٧٤٤، ٣/١٣٦٤.

(٣) انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني ٢/٤٦٠.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/

يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً، وأذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] أي: كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري في قوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحسن من القول يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحلم ويعفو ويصفح، ويقول للناس حسناً كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضي الله^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبَعْضِهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبَعْضِهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

التحية: هي دعاء بطول الحياة، والمراد بالتحية هاهنا: السلام، يقول: إذا سلم عليكم مسلم فأجيبوا بأحسن مما سلم أو ردوها كما سلم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال:

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)، رقم ٤٨٣٨، ٦/١٣٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير/١/ ٢٠٩.

الله به مما نزل به القرآن من الإحسان إلى الناس، والعفو، والتجاوز، وصلة الأرحام، وإعطاء النصفة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما أشبه ذلك.

وفي حديث سعد بن هشام، قال: أتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: (كان خلقه القرآن). أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]^{(١)(٢)}.

وما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن

٢٠٤ (١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢٤٦٠١، ١٤٨/٤١، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین، رقم ٣٨٤٢، ٢/٥٤١. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولم يتعبه الذهبي، وصححه الارناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد ٤١/ ١٤٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٦ / ١٨، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨ / ٢٠٦.

الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة، وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى.

وقوله: ﴿رَحَدِلْهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَهُ بَتَدَكْرُؤًا وَنَحْنُ﴾ [طه: ٤٤] (٣).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد مثله، روي أن رجلاً سلم على ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس: إن السلام ينتهي إلى البركة (١).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِمَعَادِي يَقُولُوا آلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك، نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، وأوقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزع في يده، أي: فربما أصابه بها (٢).

وقال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

«يقول تعالى أمراً رسوله محمداً صلى

- (١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ١/ ٦٦٩، النكت والعيون، الماوردي ١/ ٥١٣.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٨٠.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٥٢٦.

يقول تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجم وسحاب ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك، وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (١).

والإسباغ: الإفاضة والشمول، عن سعة وكثرة. والنعم السابغة: الكثيرة المتعددة والنعم الظاهرة: ما يعرفها الإنسان، ويلمسها بحواسه، أو يدركها بعقله والنعم الباطنة، هي ما لا يعلمه الإنسان من أسرار هذا الوجود الذي يعيش فيه (٢).

وقد أحسن الله للإنسان في خلقه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

وأحسن إليه بالصحة والعافية، وذلك على المعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠ / ١٤٧.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١١ / ٥٧٦.

جزاء المحسنين

إن جزاء المحسنين يكون في الدنيا: بالإحسان من الله تعالى، ورضاه ومحبته، ومعيته، ورحمته، والذكر الحسن في العالمين، وبأن الله لا يضيع أجر المحسنين، وبالبشارة بالخير، والمجازاة بأحسن ما كانوا يعملون، ويكون جزاء المحسنين في الآخرة بالجنة ونعيمها، وبيان ذلك في المطلبيين الآتين:

أولاً: جزاء المحسنين في الدنيا:

١. الإحسان من الله تعالى.

إن الله تعالى أحسن على الإنسان بجميع النعم تفضلاً منه وكرماً.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كَثِيرٍ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨).

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (لقمان: ٢٠).

وفي معناها وجوه:

أحدها: هل جزاء التوحيد غير الجنة، أي: جزاء من قال: لا إله إلا الله إدخال الجنة.

ثانيها: هل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الآخرة.

ثالثها: هل جزاء من أحسن إليكم في الدنيا بالنعم وفي العقبى بالنعيم إلا أن تحسنوا إليه بالعبادة والتقوى.

وأما الأقرب فإنه عامٌّ، فجزاء كل من أحسن إلى غيره أن يحسن هو إليه أيضًا^(١).

٢. الشكر للمحسن سبحانه وذلك بالاعتراف بذلك.

كما قال يوسف عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أي: وقد أحسن بي ربي إذ أخرجني من السجن، وسما بي إلى عرش الملك، وجاء بكم من البادية حيث كنتم تعيشون في شظف العيش وخشونته، ونقلكم إلى الحضر حيث تعيشون في نعم الاجتماع ونشر الدين الحق، وتتعاونون على ترقى

العلوم والصناعات^(٢).

وكذلك يبذل الإحسان إلى الآخرين من المستحقين والمساكين.

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

٢. رضا الله سبحانه.

بين سبحانه أنه يرضى عن المحسنين في إتباع السلف الصالح.

قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، يقول: والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلب رضا الله ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣).

(٢) تفسير المراغي ١٣/ ٤٤.

وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤ / ٣٥٣.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٤ / ٤٣٤.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩ / ٣٧٧.

قال الزجاج: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» تأويله: والله أعلم أن الله رضي أفعالهم، وأنهم رضوا ما جازاهم الله به^(١).

هو عرض كاشف لمنزلة هؤلاء الصفوة من عباد الله، وأن الله رضي عنهم، بما كان منهم من إحسان، وأنهم رضوا، بما أرضاهم الله به، ونعموا فيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضوان فوق رضوان من عند الله، يحفهم به، ويزيدهم نعيمًا إلى نعيم؛ إذ جعل الله سبحانه وتعالى رضاهم عنه بما أعطاهم معادلًا لرضاهم عنهم، حتى لكانه سبحانه وتعالى، يتبادل الرضا معهم، فيرضى عنهم، ويرضون عنه. فسبحانه، ما أعظم لطفه، وما أوسع فضله، وما أكرم عطاءه، وأسبغ إحسانه^(٢).

٣. محبة الله تعالى.

أثبت الله تعالى محبته للمحسنين في الدنيا بصفة عامة، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُهمُ اللهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وذلك جزاء من قال: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج/٢/ ٤٦٦.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب/٦/ ٨٨٢.

﴿فَأَنذَرْتُهمُ اللهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧-١٤٨].^(٣)

وفي معرض الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والمعنى: أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصي، ومن الإنفاق في سبيلي، وعود القوي منكم على الضعيف ذي الخلة، فإنني أحب المحسنين في ذلك^(٤)، أي: أنفقوا في سبيل الله فمن أنفق في سبيل الله فهو محسن^(٥).

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْقَلِيلِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السماوات والأرض، والعاملون بها هم المحسنون، وإحسانهم، هو عملهم بها، أي: وذلك الإحسان، وأنا أحب من

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن/١/ ٣٠٦.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري/٣/ ٥٩٥.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج/١/ ٢٦٦، التفسير الوسيط، الواحدي/١/ ٢٩٤.

قال الإمام أبو جعفر الطبري: يجوز أن يعفو عنهم في غدره فعلوها ما لم ينصبوا حربًا، ولم يمتنعوا من أداء جزية^(٤).
٤. معية الله تعالى.

أخبر الله تعالى بأنه مع المحسنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].
يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يا محمد ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله في محارمه فاجتنبوها، وخافوا عقابه عليها، فأحجموا عن التقدم عليها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ يقول: وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه^(٥).

والمراد من هذه المعية: المعية بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة^(٦)، وهذه معية خاصة كقوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ آتِيَنَّ مَعَكُمْ فَتُنزِلُوا إِلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقوله لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَحْقَقَنَّ إِلَىٰ يَوْمِ الْمَوْءِدِ مِنِّي مَعَكُمْ فَاسْمِعُوا أَوْ يَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٤٦].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للصديق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

عمل به^(١)، لفظ: ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ للجنس، فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون، وقد تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعْنُتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

قال أبو جعفر الطبري: «وهذا أمر من الله عز ذكره نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن يسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله جل وعز له: اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود الذين هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروههم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه»^(٣).

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ظاهره الأمر بالمعروف والصفح عنهم جميعهم، وذلك بعث على حسن التخلق معهم ومكارم الأخلاق.

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٤/ ٢٠٦.
(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/ ٣٢٧.
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٦/ ٥١، تفسير القرآن، السمعاني ٣/ ٢١١.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٧/ ٢١٥.
(٢) انظر: الموسوعة القرآنية، جعفر شرف الدين ٩/ ٢٥٩.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/ ١٣٤.

ومعنى ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: تركوا المحرمات، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفهم^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أي: إن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مصداقاً رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه^(٢).

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تأويله إن الله ناصرهم؛ لأن قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ الله معهم، يدل على نصرهم، والنصرة تكون في علوهم على عدوهم بالغلبة بالحجة والغلبة بالقهر والقدرة^(٣).

وروي عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وإن الله لمع المحسنين، بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم^(٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤ / ٥٢٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠ / ٦٣.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٤ / ١٧٤ التفسير الوسيط، الواحدي ٣ / ٤٢٦.

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣ / ٥٦٨، مدارك التنزيل، النسفي ٢ / ٦٨٨.

٥. رحمة الله تعالى.

إن من جزاء الإحسان في الدنيا، أن يكون العبد قريباً من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

في الآية تنبيه ظاهر على أن فعل هذا المأمور به هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله هو رحمته القريبة من المحسنين الذين فعلوا ما أمروا به من دعائه خوفاً وطمعاً، فقرب مطلوبكم منكم وهو الرحمة بحسب أدائكم لمطلوبه منكم وهو الإحسان الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم.

قال ابن القيم^(٥): في قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: «له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليه، ودلالة بمفهومه:

✽ فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان.

✽ ودلالته بتعليه وإيمائه على أن هذا القرب مستحق بالإحسان، فهو السبب في قرب الرحمة منهم.

✽ ودلالته بمفهومه على بعد الرحمة من غير المحسنين.

(٥) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم ٣ / ٨٦١.

للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، والذين يتبعون رسوله، فهؤلاء هم أهل الرحمة، كما أنهم هم المحسنون، وكما أحسنوا جوزوا بالإحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ يعني: هل جزاء من أحسن عبادة ربه إلا أن يحسن ربه إليه؟ قال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله، وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة؟».

٦. الذكر الحسن في العالمين.

إن من جزاء الإحسان في الدنيا: أن الله تعالى يجعل للمحسن ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً في الناس في حياته وبعد موته.

قال تعالى مبيّناً بقاء ذكر المحسنين، وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام، فقال في نوح عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرّاً بَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات: ٧٧-٨١].

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: لقينا له ثناءً حسناً وذكراً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم. وقيل: أن يصلى عليه إلى يوم القيامة^(٢).

قال الماوردي في قوله عز وجل: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها:

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج/٤ / ٣٠٨، الكشف والبيان، الثعلبي ٨ / ١٤٧.

فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة، وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم؛ لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين، وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة، بعداً بعيد، وقرّباً بقرب، فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته، والله سبحانه يحب المحسنين، ويبغض من ليس من المحسنين، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه.

والإحسان هاهنا: هو فعل المأمور به، سواء كان إحساناً إلى الناس، أو إلى نفسه. فأعظم الإحسان: الإيمان والتوحيد، والإنابة إلى الله، والإقبال عليه، والتوكل عليه، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً، فهذا هو مقام الإحسان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقد سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه)^(١).

وإذا كان هذا هو الإحسان فرحمة الله قريب من صاحبه، فإن الله إنما يرحم أهل توحيده المؤمنين به وإنما كتب رحمته:

(١) سبق تخريجه.

يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ [الصفات: ١٢٧-١٣٢].
أي: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده^(٥).

وقال في موسى وهارون: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٥﴾ وَنَضَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمْ الْعُقَلِيينَ ﴿١٣٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٣٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٣٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ [الصفات: ١١٤-١٢١].

أي: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما؛ وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون.

ثم جعل سبحانه ذلك الذكر والثناء عامًا لكل محسن، وذلك في قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ١٢٢] يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان^(٦).

أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لأمر الله؛ إنه من عبادنا المؤمنين أي: الذين أعطوا العبودية حقها، ورسخوا في

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١ / ٩٩، تفسير القرآن، السمعاني ٤ / ٤٠٣.
(٦) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١ / ٩٥.

معناه أبقى الله الثناء الحسن في الآخرين، قاله قتادة. الثاني: لسان صدق للأنبياء كلهم، قاله مجاهد، الثالث: هو قوله: ﴿سَلَّمْنَا عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، قاله الفراء^(١).

وعلى مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسنًا، ثم علل كونه محسنًا بأنه كان عبدًا مؤمنًا؛ ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه^(٢).

وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٨﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ [الصفات: ١٠٨-١١١].

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناء حسنًا^(٣).

قال الإمام الماوردي: «فيه قولان: أحدهما: الثناء الحسن، قاله قتادة. الثاني: هو السلام على إبراهيم، قاله عكرمة»^(٤).

وقال تعالى في إيل ياسين: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

(١) النكت والعيون ٥ / ٥٣.
(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤ / ٤٨.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١ / ٩٠.
(٤) النكت والعيون ٥ / ٦٣.

رجاء جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثواب عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره، فيذهب به، بل يوفره أحوج ما يكون إليه»^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ أَنفَكْنَا لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: وهكذا وطأنا ليوسف في الأرض، يعني: أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾، يقول: يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، بعد الحبس والضيق ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾ من خلقنا، كما أصبنا يوسف بها، فمكنا له في الأرض بعد العبودية والإسار، وبعد الإلقاء في الجب ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، يقول: ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره، وانتهى عما نهاه عنه، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله»^(٥).

الإيمان بالله وتوحيده^(١)، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم^(٢).

قال ابن عاشور: «والمعنى: إنا مثل ذلك الجزاء نجزي المحسنين. وفي هذا تنويه بنوح عليه السلام بأن جزاءه كان هو المثل والإمام لجزاء المحسنين على مراتب إحسانهم وتفاوت تقاربها من إحسان نوح عليه السلام وقوته في تبليغ الدعوة. فهو أول من أودى في الله فسن الجزاء لمن أودى في الله، وكان على قالب جزائه، فلعله أن يكون له كفل من كل جزاء يجزاه أحد على صبره إذا أودى في الله، فثبت لنوح بهذا وصف الإحسان، وهو النعمة السابعة. وثبت له أنه مثل للمحسنين في جزائهم على إحسانهم»^(٣).

٧. لا يضيع الله أجر المحسنين.

أخبر الله تعالى في آيات كثيرة أنه لا يضيع أجر المحسنين، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: واصبر، يا محمد، على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه،

(١) انظر: فتح القدير الشوكاني ٤ / ٤٦٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٧٠٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣ / ١٣٤.

(٤) جامع البيان ١٥ / ٥٢٦.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦ / ١٥١.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

أي: أن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار^(١)، كما في الآية التي بعدها: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبْءٌ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

قال ابن الجوزي: «ومعنى: ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعاً، بل نجازيه عليها بالثواب»^(٢).
٨. البشارة بالخير.

إن البشارة هي: إعلام الرجل بما لم يكن به عالماً مما يسره من الخبر، قبل أن يسمعه من غيره، أو يعلمه من قبل غيره^(٣)، والأغلب في البشارة إطلاقها على الإخبار بالخير المتظر في المستقبل^(٤).

فقد جعل الله تعالى القرآن الكريم بشارة

للمحسنين بحسن عاقبتهم بسبب إيمانهم وإحسانهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَزَّلْنَا بِبَشَرٍ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرٍ لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

﴿وَبَشْرٍ لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الأجود أن يكون (بشرى) في موضع رفع على الابتداء، والمعنى: وهو بشرى للمحسنين، ويجوز أن يكون بشرى في موضع نصب على المصدر على معنى: لينذر الذين ظلموا ويبشر المحسنين بشرى^(٥).

أي: وهذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة، ومصدق لغيره من الكتب السماوية السابقة وأمين عليها، وقد أنزلناه بلسان عربي مبين، امتناناً منا على من بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وهم العرب.

وجعل الله تعالى من وظيفة هذا الكتاب الإنذار للظالمين بسوء المصير إذا ما أصروا على ظلمهم، والبشارة للمحسنين بحسن عاقبتهم بسبب إيمانهم وإحسانهم^(٦).

وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يبشر

المحسنين بالخير.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرايه، الزجاج ٤ / ٤٤١.

(٦) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ١٣ / ١٨٨.

(١) انظر: المصدر السابق، ١٨ / ١٦.

(٢) انظر: زاد المسير ٣ / ٨٢.

(٣) جامع البيان، الطبري ٢ / ٣٩٣.

(٤) انظر: النكت والعيون، الماوردي ١ / ٣٨٢،

تفسير الشعراوي ١٤ / ٨٨٣٥.

﴿١٣﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾، وسائر ما ذكر ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾ ﴿وَلَا يَنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، في سبيل الله ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ﴾، مع رسول الله في غزوه ﴿وَأَدْيَا﴾ إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك، جزاء لهم عليه، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم»^(٣).

وقال الرازي: ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون وفيه وجهان:

الأول: أن الأحسن من صفة فعلهم، وفيها الواجب والمندوب والمباح والله تعالى يجزيهم على الأحسن، وهو الواجب والمندوب، دون المباح.

والثاني: أن الأحسن صفة للجزاء، أي: يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل، وهو الثواب^(٤).

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي:

يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيراً لأجرهم^(٥).

وخلاصة ذلك إنه تعالى يجزيهم بكل عمل مما ذكر جزاء أحسن من جزائهم على أعمالهم الجليلة في غير الجهاد بالمال

(٣) جامع البيان ١٤ / ٥٦٥.

(٤) مفاتيح الغيب ١٦ / ١٧٠.

(٥) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ١ / ٧١٧.

قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّعْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَآلَٰهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

قال الطبري: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: «يقول: وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة»^(١).

وقال الماوردي: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: يحتمل وجهين: أحدهما: بالقبول. والثاني: بالجنة^(٢).

٩. المجازاة بأحسن ما كانوا يعملون.

إن من جزاء الإحسان في الدنيا المجازاة بأحسن ما كانوا يعملون.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمِ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَبْتَغِ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا أَلَّيْهِمْ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَلَا يَنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) جامع البيان ١٨ / ٦٤١.

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٤ / ٢٨.

والنفس، بأن تكون النفقة الصغيرة فيه كالنفقة الكبيرة في غيره من أنواع المبرات، والمشقة القليلة فيه كالمشقة الكبيرة فما عدها من الأعمال الصالحات^(١).

وقوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٦) مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) [النحل: ٩٦-٩٧].

أي: من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الدنيا والآخرة، ثم أخبر بأن دار الآخرة خير من الحياة الدنيا، والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ [القصص: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾^(١٧) [الأعلى: ١٧]^(٢).

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) يحتمل وجهين: أحدهما: أن يجازى على أحسن الأعمال وهي الطاعة، دون المباح منها، الثاني: مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]^(٣). وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٣٥) [الزمر: ٣٣-٣٥]^(٤).

ثانياً: جزاء المحسنين في الآخرة: إن جزاء المحسنين في الآخرة هي الجنة ونعيمها.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٣٥) [الزمر: ٣٣-٣٥].

وقوله: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(٣٤) أي: لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيهم أنفسهم، وتلذه أعينهم ﴿ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣٤) أي: هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، واثمر لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه.

وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي/٣/ ٢١٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير/٤/

(١) انظر: تفسير المراغي/١١/ ٤٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير/٤/

كانوا يعملون وحسنه أيضًا، وإنما يضاعف لهم الأجر، فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة، فأصبح الجزاء كله على الأحسن، والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات (٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا بَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات: ٤١-٤٤].

قال الطبري في قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: «يقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم، ﴿هَنِيئًا﴾ يقول: لا تكدير عليكم، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم، لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم، وقوله: ﴿بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: هذا جزاء بما كتتم في الدنيا تعملون من طاعة الله، وتجتهدون فيما يقربكم منه.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم

ريهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوها من السيئات فيها ﴿وَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ يقول: ونثيبهم ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا (يعملون) مما يرضى الله عنهم دون أسوأها (١).

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٣٤] لهم عند الله من الجزاء والكرامة ما يشاءون، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤] في أقوالهم وأعمالهم. ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٥] أي: أعطاهم ما شاءوا، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥] يسترها عنهم بالمغفرة، ﴿وَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥].

قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم، ولا يجزيهم بالمساوي (٢). ذلك هو جزاؤهم، وجزاء المحسنين كلهم، والمحسنون هم: الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل.

وقوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: من الذنوب والآثام والخطايا والسيئات، أي: وفقهم للإحسان ويسره لهم، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئه ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١/ ٢٩٢.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٣/ ٥٨١.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٤/ ٤٨٧.

الصديق وحذيفة وأبي موسى الأشعري وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: «الزيادة» غرفة من لؤلؤة واحدة.

وقالت فرقة: الحسنى: هي الحسنة، و الزيادة: هي تضعيف الحسنات إلى سبعمائة فدونها حسبما روي في نص الحديث، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَضْعِيفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهذا قول يعضده النظر، ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول، وطريق ترجيحه أن الآية تتضمن اقتراناً بين ذكر عمال الحسنات وعمال السيئات، فوصف المحسنين بأن لهم حسنى وزيادة من جنسها، ووصف المسيئين بأن لهم بالسئنة مثلها فتعادل الكلامان، وعبر عن الحسنات بـ(الحسنى) مبالغة؛ إذ هي عشرة، وقال الطبري: الحسنى عام في كل حسنى فهي تعم جميع ما قيل.

ووعد الله تعالى على جميعها بالزيادة، ويؤيد ذلك أيضاً قوله: أولئك أصحاب الجنة، ولو كان معنى الحسنى الجنة، لكان في القول تكرير بالمعنى، على أن هذا ينفصل عنه بأنه وصف المحسنين بأن لهم الجنة، وأنهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ على جهة المدح لهم، أي: أولئك مستحقوها

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ﴾ [يونس: ٢٦].

قال ابن عباس: «للذين قالوا: لا إله إلا الله الجنة»، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله في قول أبي بكر الصديق، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي.

ونحو ذلك فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي عن صهيب، قال: عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجننا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل). ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ﴾ [يونس: ٢٦] (١) (٢).

قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ﴾، قالت فرقة وهي الجمهور: الحسنى: الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل، وروي في نحو ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه صهيب، وروي هذا القول عن أبي بكر

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم ١٨١، ١/١٦٣.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الواحدى ٢/٥٤٤.

الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم) (٢) (٣).

موضوعات ذات صلة:

البر، التقوى، التطوع، العطاء

وأصحابها حقاً وباستيجاب، و﴿رَهَقُ﴾ معناه: يغشى مع ذلة وتضييق، والقتر: الغبار المسود (١).

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحدور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضلله ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما رواه صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم ١٨١، ١/١٦٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٢٩.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٥.